# الاســـلام والعالم المعاصر

# الموسوعة الإسلامية العربية

## ١

# الإسلام والعالم المعاصر

بحث تاريخي حضاري

بقلم
أنور الجندي

دار الكتاب اللبناني - بيروت

جميع الحقوق محفوظة للناشر
دار الكتاب اللبناني
برقيا: كتالبان - بيروت
ص.ب: ٣١٧٦
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية ١٩٨٠

# آفاق البحث

صفحة


مدخل الى البحث . . . . . . . . ٩

الباب الأول : العالم والاسلام . . . . . . . ٢٥
اليهودية – المجوسية – البرهمية والبوذية – الهيلينية – الامبراطورية الرومانية – المسيحية والغرب – الفرعونية – الوثنية العربية

الباب الثاني : الاسلام والعالم . . . . . . ١٠١
الفتح الاسلامي – القرون الوسطى المضيئة – المسلمون والمتوسط – التاريخ الاسلامي – القرآن والأديان .

الباب الثالث : الاسلام والأديان . . . . . . . ٢٠٣
معالم الاسلام – التوحيد – تمدين البشرية وتحرير الانسان من العبودية – بناء المجتمع والانسان – الاسلام والأديان .

الباب الرابع : الاسلام والعالم المعاصر . . . . . ٣٥٧
الاسلام والعالم المعاصر – أزمة الغرب الدينية – اليهودية في محاولة احتواء الاسلام – الماركسية في مواجهة الاسلام – الاسلام والبشرية .

بسم الله الرحمن الرحيم

« كان الناس أمة واحـــدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيـــه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لمـا اختلفوا فيه من الحق بإذنه » .

«قرآن كريم»

بسم الله الرحمن الرحيم

# ١

# مدخل الى البحث

علم مقارنة الأديان علم قديم : كان المسلمون اول من تناولوه في انصاف ووضعوا قواعده في أمانة ، وكشفوا به حقائق الأمور في سماحة بالغة . فقد تناول ابو الريحان البيروني . وابن حزم . والشهرستاني وغيرهم مقارنات الأديان وفق منهج علمي قائم على العدل والانصاف ، وعرض أقوال المخالفين بكل حرية ، وعرضوا للنحل على نحو متميز من الوضوح والسماحة ، دون تجاوز الحق . وان أي مراجعة لكتاب الأطباء لابن ابي أصيبعة ـ وطبقات الحكماء لابن القفطي . وطبقات الأدباء لياقوت ـ والوافي بالوفيات للصفدي ـ وتاريخ حكماء الاسلام للبيهقي . تجد نماذج لهذا التسامح . فقد ترجم المؤلفون المسلمون للنصارى . واليهود والمجوس . وكأنهم ابناء ملة واحدة ـ وكتب البيروني عن أديان الهند في القرن الخامس من الهجرة . فلم يمس عاطفة أحد من أهلها .

## (٢)

وليس ذلك موضع غرابة من أحد ، إنما الغريب هو أن يحدث عكس ذلك ، ذلك ان الاسلام قد أقام عقيدته على اساس الإيمان بالله وكتبه ورسله جميعاً ، وأعطى مضمون التسامح والإنصاف لكل النحل والاجناس والاديان. بل وللمخالفين عن الاديان ما لم يحدثوا في الامة شبهة او شكوكاً . ولقد كانت نزعة التدين من طبائع البشرية ، ومن فطرتها الاصيلة التي لا تخلف إلا في طائفة قليلة من الذين انحرفت فيهم الفطرة ، او أصول العقل والإدراك . غير أن السنوات الاخيرة حملت دراسات جديدة في مقارنات الاديان ، كتب بعضها من وجهة نظر تقوم على التعصب لدين الباحث . او من وجهة نظر مادية بحتة تقوم على النظر الى الاديان نظرة الانتقاص ، وتحاول ان تفسرها تفسيراً يقوم على الهوى والازدراء .

وقد ألبس بعض هذه الأبحاث طوابع زائفة من العلم لتخفي ما وراءها من أهداف وغايات . وهي في الأغلب تخضع لاتجاه الصهيونية التلمودية . التي تحاول ان تهاجم المسيحية والإسلام معاً باعتبارهما متأخرين عنها تاريخياً . ولو كانت اليهودية التي تحاول ان تعرض لتحل محل الاديان التالية لها . هي ما أنزل على موسى عليه السلام لكان الخلاف قليلاً ، او ربما لم يكن هناك خلاف قط ، ذلك أن مصدر الاديان واحد وهو الله ، وأصولها الكبرى واحدة وهي التوحيد والعدل والاخلاق . غير ان الأبحاث العلمية كلها ، وخاصة ما قام بها أصحاب الاديان أنفسهم تؤكد ان هناك تفسيرات قد أولت حقائق ، وأن هناك تفسيرات اخرى قد غيرت حقائق بالإضافة والحذف . وأن النصوص الاولى المنزلة من السماء للتوراة والإنجيل . ليست موجودة قطعاً . ذلك ما يقرره البحث العلمي قبل ان يقرره القرآن الكريم الذي سجل ذلك. والذي جاء خاتماً للكتب . ومهيمناً عليها .

هذا فضلاً عن ان اصحاب البحث المقارن للأديان . انما يصادمون معتقداتهم ، ويختلفون معها حين يبحثون الاسلام فيجدونه إما مشابهاً لما جاء في اليهودية والمسيحية . فعندئذ يقولون ان الاسلام ليس الا تكراراً لهما ، او يجدونه مخالفاً لما عندهم من تفسيرات اليهودية والمسيحية . فيرون ان الاسلام قد صادم مفاهيمهم ومعتقداتهم .

ولقد عجز الباحثون في مقارنات الاديان ان يتخلصوا من مفاهيمهم او أهوائهم . لأنهم يقفون في الجانب الجزئي بينما كتاب مقارنات الأديان المسلمون يقفون في الجانب المتكامل .

ولقد يكون «التوحيد» وهو أس الأساس في الاسلام مجافياً لمفاهيم بعض الباحثين في مقارنات الاديان . ولقد يبدو تكامل الاسلام بين الدين والمجتمع . والعقل القلب . والعلم والدين معارضاً لمفاهيمهم الاساسية التي قامت على أساس الفصل بين القيم والاتجاه بها وجهة واحدة . شاطرة او جزئية . ومن هنا يبدو تكامل الاسلام في نظر الانشطارية نقصاً او تجاوزاً ، فاذا كانت مقارنات الاديان قائمة على اساس الهوى او الغرض . او محاولة اقرار مفهوم خاطىء ، او محاربة دين ، او إثارة الشبهات في أمة من الأمم . فان هذه المقارنات لا تساوي الحبر الذي كتبت به لأنها لن تثبت طويلاً أمام الحقائق . وأمام المناهج العلمية الأصيلة .

والاسلام في مقارنات الاديان يختلف عن الاديان جميعاً : الأرضية والمنزلة بأنه الدين الاخير . والدين الكامل . والدين الذي ظلت أصوله ومصادره ثابتة موثقة لم يتطرق اليها تحريف . او زيف . او تغيير ، وما تزال تهدي البشرية. وستظل تهديها أبد الآبدين .

## (٣)

ومفهوم الدين كما يقرره الاسلام انه دين واحد منذ آدم الى محمد ، واحد المصدر ، لأنه من عند الله . وواحد الاصل لأنه قائم على التوحيد . وكل ما اختلفت فيه الاديان . انما كان نتيجة ان هذه الاديان كانت مرتبطة بأمم بعينها. فلم يكن الدين عاماً كما جاء في الاسلام خاتم الأديان، ولأنها كانت تتوخى ارتقاء البشرية حلقة بعد حلقة حتى جاءت الموسوية لبني اسرائيل . وتبع موسى عدد من الرسل أرسلوا لبني اسرائيل ايضاً . كان خاتمهم عيسى عليه السلام . ثم بعث محمد ﷺ في العرب . وأرسل الى العالمين . وكان العرب هم حملة لوائه الى البشرية كلها . وكان بذلك ديناً عاماً خاتماً . ولقد بقيت في الساحة من الاديان السماوية : اليهودية . والمسيحية . والاسلام ، وما تزال الى اليوم . وكلها في الاصل تبدأ من ابراهيم عليه السلام ، وتنتهي الى محمد عليه السلام . وقد بدأت في آل ابراهيم وابنيه اسماعيل واسحاق ، فامتدت بالتوحيد فيهما . ثم تحولت بتفسيرات الاحبار من الحنيفية الى العنصرية ، فلما جاءت رسالة عيسى عليه السلام تحولت من دين معدل لشريعة موسى ، ومكمل لرسالته الى دين عالمي يقوم على مفهوم التثليث والخطيئة والصلب . وجاء الاسلام ليرد البشرية الى التوحيد الحق . وإلى الإله الواحد الاحد ، الذي لا شريك له .

## (٤)

ولقد تعددت مذاهب تفسير الاديان . بين تفسير سيكولوجي، وفلسفي، وتاريخي ، وتعددت النظريات والمناهج بتعدد الاهواء والغايات . وأصدق تفسير للاسلام ، وفهم له في مجال المقارنة هو أنه من عنـــد الله ، وهو دين التوحيد الذي ثبتت نصوصه ؛ ولم تتطور في اصولها لأنها من منطلق الفطرة .

« فطرة الله التي فطر الناس عليها ولن تجد لسنة الله تبديلاً» ولن تجد لسنة الله تغييراً .

جاء الاسلام مطابقاً للاديان السماوية في أصولها . ومكملاً لهـــا ومتمماً « ارتقاءً او تقدماً على ما سبقه من رسالات إلهية . وإن إتفق معها في جوهر الرسالة » .

وأبرز ما أضافه الاسلام الاخوة العالمية وإتمام الاخلاق . وجعل اخوته العالمية قائمة على اساس القانون الاخلاقي العام الواحد .

واذا كانت هناك مقارنة واضحة بين الاسلام والاديان . فانهناك مقارنة بين الاسلام والفكر البشري ، وقد كشف الاسلام عنذاتيته الخاصة المستمدة من القرآن والتي تحمل طابع التوحيد في مواجهة الاديان والفكر البشري . وأكد انه من الصعب المسير انصهار الإسلام وذوبانه في بوتقة أيفكر مستمد من مفاهيم وقيم تختلف اختلافاً واضحاً وعميقاً عن اصوله ومصادره .

وان الاسلامعمد الىبناء شخصيةجديدة مختلفة تمام الاختلاف عنالشخصية التي عرفها العالم قبله من خلال مفهوم التفســـيرات المنحرفة الى إلعنصرية . او التعدد او عزل الاخلاق عن الشريعة او العقيدة عن الاخلاق . وأبرز ما يتسم به الاسلام هو إلغاء الوساطة بين الله والانسان . واحكام الفوارق بين الالوهية والنبوة . وتكريم الانسان في وجه العبودية والوثنية والتبعية . ومن هنا يبدو الاسلام والفكر البشري كله عاجز عن تلقيحه او اخضاعه ، وتنكشف اصالة الاسلام في انه يرفض كل عنصر غريب عليه .

## (٥)

ومن الحق ان يقال ان نقطة الالتقاء والاختلاف بين الاسلام والاديان

الاخرى ، انه دين كامل جامع بين شطري الحياة ، وأنه ليس ديناً لاهوتياً خالصاً او تعبدياً فحسب بل هو دين ومنهج حياة ، وعبادة وشريعة وأخلاق.

من خلال هذه النقطة بالذات ينحرف موقف كتاب الغرب عن وجهة النظر الصحيحة في فهم الاديان ، ويختلف موقفنا عن موقف كتاب الغرب .

ذلك أن هذه النظرة المتكاملة للكون والحياة والمجتمع تؤثر تأثيراً بعيداً في مفاهيم الحضارة والنظم والمناهج . وتفترق افتراقاً بعيداً عن نظرة الاديان.

ولكن ما هو الاسلام الذي هو موضع المقارنة مع الاديان الاخرى، وهي موضع التحدي والخطر في كل أوجه الصراع الذي تقوم به الثقافات الغربية، ودعوات التغريب والغزو الثقافي في محاولة قصر الاسلام على أن يكون ديناً لاهوتياً تعبدياً منفصلاً عن جانبه التشريعي والاخلاقي الذي يحتضن نظام المجتمع كله . ويضبطه بقواعد أساسية كاملة .

ولقد تشكل مزاج المسلمين وتشكلت وحدتهم منذ اربعة عشر قرناً على هذا المفهوم وهذه القيم ، وإن اختلفت قومياتهم ووطنياتهم وارتباطاتهم بالارض والامم . ومن العسير إخراجهم من هـــذا المفهوم المتكامل ، وكل المحاولات التي تجري لذلك هي بمثابة تأويل باطل يريد ان يضرب الاسلام بما ضربت به الاديان الاخرى التي انحرفت عن أصولها الربانية المنزلة بالوحي بغية إرضاء هوى النفس البشرية المتطلعة الى التحـــريف بالزيادة او النقص لتحقيق مطامعها ولذاتها . وللخروج عن الضوابط التي قررها الاسلام استكمالاً للشخصية . ورفعاً لها عن الهبوط والانحدار في مهواة التحطم والانهيار .

وهذا الفارق الواضح هو سرّ ما يحاول بعض المتصلين بدراسات مقارنات الاديان إبرازه على أنه من مغامز الاسلام ، والواقع أن الاسلام ، هو صاحب الأفق الرحيب الذي يضم المادة والروح والدنيا والآخرة والدين والعلم والقلب

والعقل . فكيف يوصف بالنقص . بينما تلك الاديان والمذاهب هي التي تقوم على أساس الانشطار .

كذلك يمكن ان يوصف الاسلام في نفس دعاة التجزئة والانشطار القائمين على مفهوم المادة والدين والعلم والعقل في كيان واحد منفصل عن جذور الطبيعة البشرية ، وفطرة الوجود الانساني المتكامل، يمكن أن يوصف الاسلام على اختلافهم بالازدواجية ومن الحق أنها ليست ازدواجية ، لأن شرط الازدواجية هو التعارض والتصادم ولكن هـــذا المفهوم المتكامل ، انما يمثل التداخل الطبيعي بين شطري الانسان والالتقاء الصريح بين عنصري التكوين البشري الذي أعطى الغرب أزمة التمزق والقلق والصراع النفسي الاجماعي الذي يجتاح هذه المجتمعات اليوم ويسحقها بقوة .

ولقد حاولت بعض النظريات الوافدة انتضرب فيجدار الفكر الاسلامي القوي بغية إحداث صدع فيـــه تحقيق لأهدافها في تمزيق الوحدة . وإقامة مفهوم الانشطارية الذي يحقق للاستعمار والتغريب والغزو الثقافي غايته من احتواء الاسلام وإذابته في بريق المادية الوثنية العالمية . غير أن الاسلام بطبيعة تركيبه وعمق تجربته ومواجهته للأخطار . والفكر البشري كان قادراً المقاومة فلم يستسلم أبداً في الماضي . ولن يستسلم أبداً في مستقبله الطويل للنظريات الدخيلة . او الفلسفات الوافدة . وهو قادر على ان يأخذ ويعطي ويرد ما لا يتناسب مع طبيعته وتركيبه ومزاجه .

وقد ظل الفكر الاسلامي انطلاقاً منطبيعته ومضمونه القائم على التوحيد الخالص يواجـــه النظريات . ويدلي برأيه فيها ، ولا يتوقف عن النظر المنصف ولا يتقبل كل شيء وهو بسماحه وانفتاحه على الثقافات والفكر العالمي قادر على عملية الأخذ والعطاء على قاعدته ، ودون ان يخرج عن مقوماته .

فالاسلام يلتقي مع الاديان في المعاني العليا الانسانية المشتركة . ويختلف في انفصالية نظام المجتمع عن العبادة ، وفي انفصال الشريعة عن العقيدة ، وفي انفصال الاخلاق عن المنهج الاجتماعي كله ، وهو مع أنه دين الفطرة . فهو دين العقل ، وهو بطبيعته دين واقعي ، يساير تطور الأزمنة ، ويهدف الى تقدم الانسان .

وأبرز معطيات الاسلام هي قدرته على علاج القضايا الكبرى ، والمعضلات البشرية في يسر وبساطة . جامعاً بين الجوانب الروحية والمادية في حياة الانسان ، رابطاً بين العلم والعقيدة في حياة الفكر ، واصلاً بين المجتمع والاخلاق في مجال السلوك .

## (٦)

إن كلمة الدين نفسها في الفهم الغربي . لا تعني نفس المعنى في الفهم الاسلامي . فإن كلمة ( Religon ) تعني : نظام كهنوتي فيه الراهب والاعتراف . وسيطرة الانسان على أخيه . وتحكمه في غفران ذنبه ، وقبول توبته و ( رليحوزنتي ) تعني استسلاماً كاملاً بهذا النوع من العبودية ، واشتراكاً في العبادة نفسها بالله عن طريق الامتثال لكل ما يأمر به رئيس الديانة أو ينهى[١] .

وان هذا الفهم الغربي لمدلول الدين . انما جاء طبقاً للمحتويات التي كذبتها الظروف المسيحية الاولى . والتي كان الاسلام ثورة عليها ، وإصلاحاً لها . وقد كان لهذا المفهوم أثر متناقض في نفوس الغربيين . منذ بداية الاصلاح الديني البروتستانتي . ثم أثر خطير منذ أن طغى رجال الدين على أهل الدين ،

---

(١) علال الفاسي : دعوة الحق . يونيه سنة ١٩٦٨ .

وأصبحوا يمنعونهم من الدراسة ومن المعرفة . ونشأ عن ذلك أن أحس المجتمع بضرورة التحرر من الدين بالمعنى الغربي . أي بالثورة على الكنيسة وتحكم الرهبان ، والتحرر من الارستقراطية الاقطاعية .

أما عندنا فقد نسبنا مدلول الدين بالمعنى الاسلامي هو مجـــرد تشريع . وملأنا الكلمة بما تدل عليه الرحمة الغربية . فأصبحنا بطبيعة الحال نفهم معنى الدين بما تحتويه كلمة رليجون . وأصبحنا نفكر في أمر الدين بما يفكر به الغرب . وما نقرأه من آدابه الموجهة قبل كل شيء لنقد مجتمع مبني على تحكم الكنيسة . وصعوبة الطلاق ولو في حالات تلبس أحد الزوجين بالزنا . وقيام ارستقراطية اقطاعية يحميها رجال الكنيسة وتستعبد بها الشعوب . ونشأت من هذا مشكلة فصل الدين عن الدولة .

فالدين بالمعنى الغربي لا وجود له في بلادنا ولا فكرنا ، فالدولة والدين شيء واحد . ولا بد للدولة ان تقوم على عقيدة او خلق ، ولا بد أن تكون حامية لقانون . وهي المسؤولة عن إيجاده ان لم يكن موجوداً .

« والدولة الاسلامية ليست دولة اكليريلكية كهنوتية بالمعنى الذي يفهمه الغرب » ولا ريب أن عدم إدراك هذا الفرق بين مدلول الدين عند المسيحية وعند المسلمين كان عظيم الخطر في تضليل الكثيرين من العرب الذين تعلموا تعليماً غربياً دون أن يحصلوا بجانبه على دراسة صحيحة تمكنهم من معرفة الاسلام على حقيقته ، ولما كانت الكلمات اللغوية التي تلبس في المعاني الحية التي يلبسها الناس لها بالاستعمال كل يوم . فان كلمة الدين لم تعش في ذهن هذه الطبقة من المثقفين إلا بمدلولها الغربي ، وقد ضل الكماليون في فهم الاسلام فسلكوه مسلك الدين المسيحي ، وأصدروا حكماً واحداً عليهما . وان الحملة التي يواجهها الاسلام من أعدائه . انما هي أثر من آثار الهجوم العنيف الذي وجه

ضد الأديان من طرف الماديين . ولقد كانت المسيحية هي السيف المباشر . والهدف الأصيل الذي وجه اليه الهجوم .

ومن هنا وتأسيساً على ذلك يبدو واضحاً خطر الاتجاه الغربي الذي يحاول إخضاع نصوص القرآن والشريعة لانماط الغرب . وتحويل كلمات اللغة العربية ومصطلحاتها من ملابساتها الفكرية التي ترمي اليها أصلاً الى غيرها .

# ٢

# تعريف بالإسلام

الإسلام منهج وليس نظرية : منهج متكامل يستهدف تحقيق بناء المجتمع الرباني في الأرض . ولذلك عني الاسلام بوضع تعاليم جامعـــة في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية . أفرغت في صيغة كليـــة . وأصول عامة . وبذلك أتيح لها صفة الخلود والبقاء . وهي تعاليم لها صفة التكامل والشمول والترابط .

وقد عني الاسلام بأن يكون منهج حياة ونظام مجتمع ، ولذلك عمد الى:

أولاً : تحرير الفكر من الوثنيات والمادة .

ثانياً : تحرير الانسان من العبودية .

ثالثاً : تحرير البشرية من قيود العنصرية والمادية والاباحية .

والقيم الأساسية للاسلام واسعة الأفق ، مرنة الأبعاد ، قابلة لكل تجديد في سبيل الرقي والتقدم والبناء ، فضلاً عن ذلك . فان الجمود والتعصب ليس من مظاهرها . أو شاراتها . والاسلام نظام يشبع النفس البشرية ، ويعطيها